لباس المحتسب . دراسة تحليلية .

أ.د. خالد بن حسن العبري

الأستاذ بقسم الدراسات الإسلامية والعربية

بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن في المملكة العربية السعودية.

بسم الله الرحمن الرحيم

لباس المحتسب. دراسة تحليلية.

خالد بن حسن العبري
قسم الدراسات الإسلامية والعربية – جامعة الملك فهد للبترول والمعادن – المملكة العربية السعودية.
البريد الإلكتروني : alabri@kfupm.edu.sa

الملخص :
تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن أهمية اللباس فقد ذكره الله كثيراً في القرآن حيث وردت كلمة اللباس في القرآن الكريم اثنتا عشرة مرة بصيغ مختلفة فتارة بصيغة الفعل المضارع وتارة بالماضي وتارة بالمصدر وغير ذلك.
وقد وضعت الشريعة أحكاماً للباس وضوابطه فحرمت أنواعاً من اللباس ليس ساترة للعورة أو ألبسة على الرجال خاصة. كما شرعت بعض السنن والآداب المتعلقة باللباس في الإسلام مثل ارتداء الملابس الجميلة دون إسرافٍ في ذلك ، ولذا فقد جاءت هذه الدراسة المعنونة بـ " لباس المحتسب . دراسة تحليلية." للحديث عن أهميته وسننه وآدابه ، وقد توصلت الدراسة إلى العديد من النتائج جاء من أهمها : أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن له لباس خاص يميزه عن غيره بل كان يلبس لباس قومه ويشابه أصحابه في ثيابهم وملبوسهم؛ ولا يعني ذلك تخطئة من اتخذ لباساً خاصاً من أصحاب الولايات والوظائف الدينية والدنيوية فلكل زمان ظروفه وأحواله حيث الأصل في اللباس الإباحة.

الكلمات المفتاحية : لباس المحتسب، أهمية اللباس، حكم لبس الفاخر والأنيق.

The dress of the muhtasib. An analytical study.

Khalid Bin Hassan Al-Abri
Professor at Islamic and Arabic Studies department in King Fahd University of Petroleum & Minerals, Saudi Arabia.
E-mail : alabri@kfupm.edu.sa

Abstract :
This study seeks to reveal the importance of dress, as God mentioned it frequently in the Qur'an, as the word "dress" appears in the Holy Qur'an twelve times in different forms, sometimes in the present tense, sometimes in the past tense, sometimes in the infinitive, and so on. Sharia law has set rules and regulations for clothing, prohibiting types of clothing that do not cover the private parts or clothing for men in particular. Some Sunnahs and etiquettes related to dress in Islam have also been prescribed, such as wearing beautiful clothes without extravagance, and therefore this study entitled "The Dress of the Muhtasib - An Analytical Study" came about. To talk about its importance, its Sunnahs and its etiquette, the study reached many results, the most important of which is: that the Prophet, may God's prayers and peace be upon him, did not have a special dress that distinguished him from others. Rather, he wore the clothes of his people and resembled his companions in their clothes and apparel. This does not mean that those who have religious or worldly mandates and positions are wrong when adopting a special dress. Every time has its own circumstances and circumstances, as the basic principle regarding dress is that it is permissible.

Keywords: the dress of the muhtasib, the importance of dress, the ruling on wearing luxurious and elegant clothes.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

فإن اللباس والزينة من الأمور المطلوبة شرعاً ، رغبت فيه النصوص ولكنه ليس المقياس الحقيقي للإنسان. بل قيمة الإنسان قررها الله تعالى بالتقوى فهي ميزان التفاضل. فالعالم عالم لو لبس الرث من الثياب ولو لبس الجاهل الغبي أحسن الثياب لا يصبح بذلك عالماً فقيهاً. وقد كان أهل الوظائف الدينية والدنيوية من القضاة الوزراء وولاة الحسبة يلبسون ملابس تميزهم عن غيرهم، فما حكمة ذلك؟ وما تأثير اللباس على صاحب الملبس نفسه وعلى من ينظر إليه؟ وفي هذا البحث سوف أناقش مسألة لباس المحتسب عبر العصور والأزمان المختلفة وهل من الأولى أن يلبس رجال حسبة لباساً مميزا، وهل من المستحسن أن يُميَز رجال الحسبة في عصرنا الحاضر بلباسٍ معين؟ وهل لهذا اللباس أثرٌ في عملهم الميداني؟ وهل كان للمحتسبين في الماضي لباس يميزهم؟

والحِسبة: هي أمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله[1].

ويتبينُ فضلُ الحسبةِ وأهميتُها من عدة وجوه أهمها ما يلي:

- أنه قد جاء الأمرُ بها: في قول الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾[2]. وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المرفوع عن أبي سعيد: " من رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ

(١) الأحكام السلطانية والولايات الدينية، للماوردي، ص: ٢٩٩، ط دار الكتب العلمية. الأحكام السلطانية، لأبي يعلى الفراء، ص: ٢٨٤، ط دار الكتب العلمية.

(٢) آل عمران، الآية ١٠٤.

بيده، فَإِنْ لم يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لم يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ "[١].

- أنها سببٌ لخيرية هذه الأمة: في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[٢]، فبين الله تعالى أن من أسباب خيرية هذه الأمة قيامها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وجاء عن أبي هريرة رضي الله عنه في تفسيره لهذه الآية قوله: "خيرُ الناس للناس، تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام"[٣]. وقال ابن كثير موضحاً هذه الصفة من صفات المؤمنين: (ينفعون خلق الله، ويرشدونهم إلى طاعة الله بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، مع العلم بما ينبغي فعله ويجب تركه وهو حفظ حدود الله في تحليله وتحريمه علماً وعملاً، فقاموا بعبادة الحق ونصح الخلق)[٤]. وقال القرطبي عن هذه الآية: (إنها مدحٌ لهذه الأمة ما أقاموا ذلك واتصفوا به فإذا تركوا التغيير وتواطؤا على المنكر زال عنهم اسم المدح ولحقهم اسم الذم وكان ذلك سبباً لهلاكهم)[٥].

- أنها من أخص أوصاف النبي ﷺ: قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ﴾[٦]، يقول ابن كثير: (هذه صفة النبي صلى الله

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (شرح النووي ٢١/٢). وأصحاب السنن وأحمد وغيرهم.

(٢) آل عمران، الآية ١١٠.

(٣) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب (كنتم خير أمة أخرجت للناس)، ح(٤٥٥٧). الفتح ٢٢٤/٨.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٣٨/٢.

(٥) الجامع لأحكام القرآن ١٧٣/٤.

(٦) الأعراف، الآية ١٥٧.

عليه وسلم في الكتب المتقدمة)[1].

- أنها من أخص أوصاف المؤمنين: قال تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾[2]. وعلى العكس من ذلك جاء وصف المنافقين قبل هذه الآية فقال: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ ....﴾[3]، قال القرطبي: (فجعل تعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرقاً بين المؤمنين والمنافقين، فدل على أن أخص أوصاف المؤمنين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ورأسها الدعاء إلى الإسلام والقتال عليه)[4].

- أن من تركها فهو معرض للعن والعذاب: قال تعالى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[5].

قال ابن النحاس: (وهذا غاية التشديد ونهاية التهديد عن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذ بين سبحانه أن السبب في لعنهم هو ترك التناهي عن المنكر، وبين أن ذلك عصيان منهم واعتداء، وأن ذلك بسبب الفعل فاعتبروا يا

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/٢٨٢.

(٢) التوبة، الآية ٧١.

(٣) التوبة، الآية ٦٧.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٤/٤٧.

(٥) المائدة، الآية ٧٨-٧٩.

أولي الألباب)[١]. وقال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾[٢]. وقال ﷺ: " مَا مِنْ قَوْمٍ يُعْمَل فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي، هُمْ أعَزّ وَأَكْثَرُ مِمَّنْ يَعْمَلُهُ، لَمْ يُغَيّرُوهُ، إلَّا عَمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ "[٣]. والنصوص في هذا المعنى كثيرة وواضحة جداً.

(١) تنبيه الغافلين، ص ٦١.

(٢) الأنفال، الآية ٢٥.

(٣) رواه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ح (٤٠٠٩)، وهو في صحيح سنن ابن ماجه ٣٦٨/٢.

المبحث الأول: أهمية اللباس:

إن من نعم الله العظيمة على بني آدم وما ميزه به عن الحيوان ما يسره لهم من أسباب تعينهم على ستر العورات، وما يتجملون به ويتزينون من ملابس وثياب، قال الله تعالى في معرض الامتنان والتفضل: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ النحل:٨١. وقال: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ ﴾ الأعراف:٢٥.

وقد جاء في تعريفات اللباس أنه ما يستر الجسم. وهو تعريف حسن، والبعض يضيف الزينة في التعريف؛ فيقول في تعريف اللباس: أنه ما يستر الجسم ويتزين به. قلت: وإضافة الزينة لا بأس بها من باب الوصف والغاية لا من باب التعريف لأن التعريفات مبناها على الاختصار ولو أدخلنا في التعريف الغايات كالزينة لجاز أن يدخل في التعريف سائر الغايات المذكورة في القرآن كالوقاية من البرد والحر والبأس وغير ذلك.

وليس ببعيد أن يقال إن اللباس يعد من الحاجيات الأساسية للإنسان نحواً من حاجته للطعام والشراب. ومما يبرز أهمية اللباس كونه من نعيم الجنة حيث ذكر الله أنواعاً وأصنافاً من اللباس وعد بها أهل الجنة. وحين أسكن الله آدم الجنة قال له: ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ ﴾ طه (١١٨) فأبعد الله عنه الجوع وهو ذل الباطن وأبعد عنه العري وهو ذل الظاهر.

ولأهمية اللباس ذكره الله كثيراً في القرآن حيث وردت كلمة اللباس في القرآن الكريم اثنتا عشرة مرة بصيغ مختلفة فتارة بصيغة الفعل المضارع وتارة بالماضي وتارة بالمصدر وغير ذلك. أما مشتقات اللباس والألفاظ ذات الصلة فقد وردت بعبارات مختلفة كالثياب والاستبرق والحرير والسندس والقميص والجلباب

والكسوة والنعل والحلية.

وقد وضعت الشريعة أحكاماً للباس وضوابطه فحرمت أنواعاً من اللباس ليس ساترة للعورة أو ألبسة على الرجال خاصة. كما شرعت بعض السنن والآداب المتعلقة باللباس في الإسلام مثل ارتداء الملابس الجميلة دون إسرافٍ في ذلك. وقول ما ورد من الأدعية عند لبس الثوب الجديد. والتواضع في الملبس. والتجمّل عند مقابلة الناس، وعند الخروج للجمعة. والتيامن عند ارتداء الملابس. والحرص على نظافة الملابس.

المبحث الثاني: حكم لبس الفاخر والأنيق:

لا تعارض بين التدين والتزين، فإن الله سبحانه يحب ظهور أثر نعمته على عبده، فيحب أن يرى على عبده الجمال الظاهر بالنعمة، والجمال الباطن بالشكر عليها، فعن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: " إنَّ اللهَ جميلٌ يحبُّ الجمالَ ، و يحبُّ أن يَرى أثرَ نعمتِه على عَبدِه ، و يُبغِضُ البؤسَ و التَّباؤسَ "(١). وهل يتعارض هذا مع ما رواه عن معاذ بن أنس رضي الله عنه مرفوعا: " مَنْ تَرَكَ اللِّبَاسَ تَوَاضُعًا لِلَّهِ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ دَعَاهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنْ أَيِّ حُلَلِ الإِيمَانِ شَاءَ يَلْبَسُهَا "(٢). لا تعارض لأنه ليس المراد منه أن يلبس لبس الفقراء وقد أغناه الله، بل يظهر ويبين نعمة الله عليه، وإنما مراده عدم الترفع والتكبر على الآخرين في اللباس، بحيث يكون لباسه من غير تكبر ولا خيلاء ويترك الثياب النفيسة فاحشة الغلاء، ويتحرى الوسط من لباس قومه ويبتعد عن ثوب الشهرة حتى لا ينسب إلى الكبر. وهذا لا يعني مطلقاً أن لبس الثياب الحسنة مذموم فقد كان النبي ﷺ يلبس من أنواع الثياب ويتجمل للوفود، فعن عبد الله مولى أسماء، قال: "أخرجت إلي أسماء جبة من طيالسة عليها لبنة شبر من ديباج، وإن فرجيها مكفوفان به، فقالت: هذه جبة رسول الله ﷺ، كان يلبسها للوفود، ويوم الجمعة"(٣).

وقد أوضح عليه الصلاة والسلام أن اللبس الحسن لا يدخل في الكبر حيث قال: "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان. فقال رجل: يا رسول الله، الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا، ونعله حسنة، فقال رسول الله ﷺ: إِنَّ اللَّه جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمالَ، الكِبْرُ: بَطَرُ الحَقِّ، وغَمْطُ النَّاسِ "(٤). وقد نهى النبي ﷺ الرجل صاحب النعمة أن يظهر بثياب رثة.

---

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته (١٧٤٢).

(٢) رواه الترمذي (٢٤٨١) وصححه الألباني.

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد وصححه الألباني (٣٤٨).

(٤) أخرجه مسلم (٩١).

فعن أبي الأحوص، عن أبيه رضي الله عنه، أنه أتى النبيَّ صلى الله عليه وسلَّم في ثوبٍ دونٍ فقال له النبيُّ صلى الله عليه وسلَّم: ألك مالٌ؟ قال: نعم من كلِّ المالِ. قال: من أيِّ المالِ. قال قد آتاني اللهُ من الإبلِ والغنمِ والخيلِ والرقيقِ. قال: فإذا أتاك اللهُ مالاً فليُرَ عليك أثرُ نعمةَ اللهِ وكرامتِه "[١].

واللباس من قبيل العادات فالأصل فيه الإباحة ما لم يرد نص بالاستثناء أو المنع. فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: " كُلُوا، وَاشْرَبُوا، وَتَصَدَّقُوا، وَالْبَسُوا، غَيْرَ مَخِيلَة، وَلَا سَرَف "[٢]. ولدخوله في عموم قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ ، ولأن الله أنكر على من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده فقال عز وجل: (﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾.

ومما روي عن عمر رضي الله عنه قال: مروءة الرجل نقاء ثوبه[٣]. وروي عن الإمام مالك أنه قال: نقاء الثوب وحسن الهمة وإظهار المروءة جزء من بضع وأربعين جزء من النبوة[٤]. من طريف ما يروى عن الإمام أبي حنيفة أنه رأى على بعض جلسائه ثيابا رثة فأمره فجلس حتى تفرق الناس وبقي وحده فقال له ارفع المصلى وخذ ما تحته فرفع الرجل المصلى فكان تحته ألف درهم فقال له خذ هذه الدراهم فغير بها من حالك فقال الرجل إني موسر وأنا في نعمة ولست أحتاج إليها فقال له أما بلغك الحديث إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده فينبغي لك أن تغير حالك حتى لا يغتم بك صديقك[٥].

وقال سفيان الثوري دخلت على جعفر بن محمد (جعفر الصادق) وعليه جبة خز

(١) أخرجه أبو داود (٤٠٦٣)، وصححه الألباني.

(٢) رواه البخاري معلقا (٥٧٨٣)، ح (٤٠٠٩)، والنسائي في سننه برقم (٢٥٥٩) وابن ماجه (٣٦٠٥).

(٣) الآداب الشرعية ٥٢٩/٣.

(٤) ترتيب المدارك وتقريب المسالك ٦٢/٢.

(٥) تاريخ بغداد ٣٥٨/١٣-٣٥٩.

دكناء، وكساء خز إيرجاني، فجعلت أنظر إليه معجباً، فقال لي: يا ثوري ما لك تنظر إلينا؟ لعلك تعجب مما رأيت؟ قال: قلت: يا ابن رسول الله ليس هذا من لباسك ولا لباس آبائك، فقال لي: يا ثوري، كان ذلك زماناً مقفراً مقتراً، وكانوا يعملون على قدر إقفاره وإقتاره، وهذا زمان قد أقبل كل شيء فيه عز إليه، ثم حسر عن ردن جبته، وإذا تحتها جبة صوف بيضاء يقصر الذيل عن الذيل، والردن، عن الردن، فقال لي: يا ثوري لبسنا هذا لله، وهذا لكم، فما كان لله أخفيناه، وما كان لكم أبديناه[١].

وكان بعض العلماء حريصاً على التأنق ولا يجد حرجاً في اقتناء الغالي الثمن من الملابس، فقد جاء في وصف الإمام أبي حنيفة بصيغة المبالغة أنه كان لبّاساً حسن الهيئة كثير التعطر يعرف بريح الطيب إذا أقبل وإذا خرج من منزله قبل أن تراه[٢]. وقال أبو مطيع يقول: رأيت عليه يوم الجمعة قميصا ورداء قومتهما بأربع مئة درهم[٣]. وقال النضر بن محمد: رأيته مرة وعليه كساء قومته بثلاثين ديناراً[٤]. والحقيقة أن كساء بثلاثين ديناراً ليس بقليل القيمة إذا قلنا إن الدينار يساوي أربعة غرامات وربع مضروبة في ثلاثين فيكون الناتج ١٢٧ غراما من الذهب تقريبا وسعر الذهب اليوم للغرام الواحد في حدود ٧٤ دولاراً فسيكون سعر الكساء قرابة ٩٠٠٠ دولار في عصرنا (هذا مجرد تقدير واحتمال الخطأ وارد)، ولعل أبا حنيفة يتأول ذلك بأن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده[٥] ولا يخفى أن أبا حنيفة رحمه الله كان تاجراً موسراً غنياً معروفاً بكونه من أشهر تجار الأقمشة وبورك له في تجارته فكان يربح الربح الوفير وبالرغم من أنه كان يشتري لنفسه غالي الثمن من الملابس إلا أنه كان كريما يغدق على أصحابه من أهل العلم والفضل وكان عفيف اليد عن أموال الخلفاء والأمراء لم يكن يقبل الهدايا أو العطايا أو الجوائز.

(١) حلية الأولياء ١٩٣/٣.

(٢) تاريخ بغداد ٣٣١/١٣.

(٣) الأثمار الجنية ١٨٣/١.

(٤) تاريخ الإسلام للذهبي ٣٠٨/٩.

(٥) تاريخ بغداد ٣٥٨/١٣-٣٥٩.

بل كان يستخدم الحيلة للاعتذار عن قبول العطايا فعن يوسف السمتي أن أبا جعفر المنصور أجاز أبا حنيفة بثلاثين ألف درهم في دفعات فقال يا أمير المؤمنين إني ببغداد غريب وليس لها عندي موضع فاجعلها في بيت المال فأجابه المنصور إلى ذلك قال فلما مات أبو حنيفة أخرجت ودائع الناس من بيته فقال المنصور خدعنا أبو حنيفة(١).

وفي ملبس الإمام مالك وتألقه وتأنقه، يظهر أنه يلبس الفاخر من الثياب غالي الثمن؛ قال بشر بن الحارث: دخلت على مالك فرأيت عليه طيلساناً يساوي خمسمائة قد وقع جناحاه على عينيه أشبه شيء بالملوك(٢). وكان كثيراً ما يغير ملابسه ويكثر التنوع فيها؛ قال محمد بن الضحاك الحزامي: كان مالك نقي الثوب، رقيقه، يكثر اختلاف اللبوس(٣). وقال الزبيري: كان مالك يلبس الثياب العدنية الجياد والخراسانية والمصرية المرتفعة البيض ويتطيب بطيب جيد، ويقول ما أحب لأحد أنعم الله عليه إلا ويرى أثر نعمته عليه وخاصة أهل العلم، وكان يقول أحب للقارئ أن يكون أبيض الثياب. قال ابن أبي أويس: ما رأيت في ثوب مالك حبراً قط(٤). وهذا بالرغم من كثرة استخدامه للحبر وبالرغم من كثرة عدد طلابه إلا أنه كان حريصاً على العناية بنقاء ملابسه. ومما يدل على عناية الإمام مالك باللباس أن تركته كان فيها مائة عمامة وخمسمائة زوج من النعل(٥).

(١) تاريخ بغداد ٣٥٧/١٣.

(٢) ترتيب المدارك وتقريب المسالك ١٢٢/١.

(٣) سير أعلام النبلاء ٦٩/٨.

(٤) ترتيب المدارك وتقريب المسالك ١٢٣/١.

(٥) ترتيب المدارك وتقريب المسالك ١٦٠/٢.

المبحث الثالث: تأثير اللباس على الإنسان:

الملابس التي يلبسها الإنسان لها تأثير في أخلاقه وسلوكه فلو أن شخصاً فقيراً يلبس ثياباً رثة متسخة أثر ذلك في سلوكه ومشيته وحركاته بينما هذا الإنسان نفسه إذا لبس ألبسة جديدة فاخرة نظيفة استقام ساقه ووقف صلبه وتغير شعوره وسلوكه فالشخص واحد لم يتغير إنما الذي تغير اللباس الذي أثر فيه. أي أن هناك علاقة بين اللباس والجسم والذات كما أن اللباس مثيراً ومؤثراً في غير صاحبه حيث له تأثير في الانطباع والصفات والسلوكيات. حتى أن بعض الباحثين الغربيين عزوا مسؤولية الاعتداءات الجنسية على المرأة والتحرش بها إلى سبب اللباس المستفز أو الشفاف أو الكاشف أو القصير[1]. والإنسان يحرص دائما على الصورة الحسنة التي يريد أن يعكسها عن نفسه والانطباع الذي يتركه في أذهان الآخرين عنه من خلال عدة أمور من ضمنها اللباس فكيف يمكن لقطعة من القماش أن تؤثر في لابسها ومشاهدها؛ فمن خلال طريقة اختيارك للملابس أنواعها وألوانها وأنماطها تخبر الآخرين بأشياء كثيرة عنك. كما أن الإنسان تراوده مشاعر جميلة حين يلبس ثياباً حسنة أو جديدة مثل شعور الثقة أو الفرح والسعادة وربما الشعور بالاطمئنان وأن ذلك يسهم بشكل كبير في تغيير الحالة المزاجية للإنسان. كما أن البعض يعتبر اللباس شكلاً من أشكال التواصل والتعبير عن الذات.

وفي الجانب الآخر فإن البعض يبالغ في تقدير المظاهر واللباس لدرجة أنه ينظر للناس من خلال لباسهم ويقيمهم من خلال مظهرهم وهذا فيه نوع مبالغة مذمومة. بل قد يتحول الاهتمام باللباس والمظهر الخارجي في بعض الأحيان إلى مشكلة ومرض يجب اجتنابه. ولا ريب أن المظاهر الخارجية تخدع في كثير من الأحيان فقد تقابل أناساً لهم مظهر رصين ولباس جميل ويعجبك قولهم ولباسهم وما تلبث

(١) في بحث بعنوان: اللباس، الجسم، والذات: بحث في علم النفس الاجتماعي للباس، تأليف كيم جونسون، وشارون جي لينون، ونانسي رود، ترجمة: زينب عبد المطلب، تحرير: بلال الخصاونة. نشرت الترجمة في موقع أثارة الالكتروني. والبحث منشور في International Journal of Interdisciplinary Research بعنوان Dress, body and self: research in the social psychology of dress.

حتى تكتشف أن هؤلاء الأشخاص يختلفون اختلافا كليا عن الانطباع الأول معهم. والعكس صحيح حيث جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره"(١).

وجاء عن سهل بن سعد الساعدي أنه قال: مر رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لرجل عنده جالس: "ما رأيك في هذا"؟ فقال رجل من أشراف الناس: هذا والله حري إن خطب أن ينكح، وإن شفع أن يشفع، قال: فسكت رسول الله ﷺ، ثم مر رجل، فقال له رسول الله ﷺ: "ما رأيك في هذا"؟ فقال: يا رسول الله، هذا رجل من فقراء المسلمين، هذا حري إن خطب أن لا ينكح، وإن شفع أن لا يشفع، وإن قال أن لا يسمع لقوله، فقال رسول الله ﷺ: "هذا خير من ملء الأرض مثل هذا"(٢). وهذا فيه درس عملي من النبي ﷺ في عدم احتقار المسلم لغيره؛ فالعبرة ليست بالمظاهر إنما التفاضل بالتقوى وهذا ما يؤكده معنى قوله جلَّ وعلا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾ [الحجرات:١٣]، ومعنى قوله سبحانه: ﴿ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ٣٧ ﴾ [سبأ:٣٧]، وفي الحديث الطويل الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه وفيه: "..... وبينا صبي يرضع من أمه، فمر رجل راكب على دابة فارهة، وشارة حسنة، فقالت أمه: اللهم اجعل ابني مثل هذا، فترك الثدي وأقبل إليه، فنظر إليه، فقال: اللهم لا تجعلني مثله، ثم أقبل على ثديه فجعل يرتضع. قال: فكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ وهو يحكي ارتضاعه بإصبعه السبابة في فمه، فجعل يمصها. قال: ومروا بجارية وهم يضربونها ويقولون: زنيت، سرقت، وهي تقول: حسبي الله ونعم الوكيل، فقالت أمه: اللهم لا تجعل ابني مثلها، فترك الرضاع

(١) رواه البخاري، (٦٥٤٧).

(٢) رواه البخاري، (١٧٤٢).

ونظر إليها، فقال: اللهم اجعلني مثلها، فهناك تراجعا الحديث، فقالت: حلقى مر رجل حسن الهيئة فقلت: اللهم اجعل ابني مثله، فقلت: اللهم لا تجعلني مثله، ومروا بهذه الأمة وهم يضربونها ويقولون زنيت، سرقت، فقلت: اللهم لا تجعل ابني مثلها فقلت: اللهم اجعلني مثلها. قال: إن ذاك الرجل كان جبارا، فقلت: اللهم لا تجعلني مثله، وإن هذه يقولون لها زنيت ولم تزن، وسرقت ولم تسرق فقلت: اللهم اجعلني مثلها"[1].

ويؤخذ من هذا ضرورة النظر إلى الميزان الحقيقي حيث إن الرجل قد يكون ذا منزلة عالية في الدنيا، ولكنه ليس له قدرٌ عند الله، وقد يكون في الدنيا ذا منزلة وضيعة، وليس له قيمة عند الناس، وهو عند الله خيرٌ من كثير ممن سواه. فلا عبرة بمقياس بعض أهل الدنيا الذين يعتبرون التفاوت بين الناس معتمداً على المظاهر؛ فالعبرة بما تحت الثياب وليست العبرة بالثياب. ولما دخل النمر بن قطبة على معاوية، وعلى النمر عباءة قطوانية، فقال النمر: يا أمير المؤمنين إن العباءة لا تكلمك، وإنما يكلمك من فيها[2]. ولا بد من التذكير بأن التجمل أمر مطلوب شرعاً ولكنه ليس مقياساً للتفاضل.

(١) رواه البخاري ومسلم واللفظ له، (٢٥٥٠).

(٢) مختصر تاريخ دمشق ١٨٦/٢٦. والعباءة القطوانية نسبة إلى قطوان وهو موضع بالكوفة ويبدو من السياق أن العباءة بالية أو لم تكن فاخرة أو جيدة. وذكر الجاحظ مثل هذا الموقف عن النخار بن أوس العذري، الخطيب الناسب، أن معاوية نظر إليه في عباءة في ناحية من مجلسه، فأنكره وأنكر مكانه زراية منه عليه، فقال: من هذا؟ فقال النخار: يا أمير المؤمنين، إن العباءة لا تكلمك، وإنما يكلمك من فيها. البيان والتبيين ٢٠٠/١.

المبحث الرابع: هل كان للرسول صلى الله عليه وسلم لباساً مميزاً

اختلفت أفعال وتصرفات النبي ﷺ باختلاف الأحوال تارة باعتباره زوجاً وتارة باعتباره أباً وتارة باعتباره قائداً وتارة قاضياً وتارة محتسباً وهكذا. ومع كل هذه الاعتبارات المتنوعة إلا أنه ﷺ لم يكن له لباس خاص يميزه عن غيره بل كان يلبس لباس قومه ويشابه أصحابه في ثيابهم وملبوسهم من القطن والصوف والكتان. قال ابن تيمية: (كان يلبس القميص والعمامة ويلبس الإزار والرداء ويلبس الجبة والفروج وكان يلبس من القطن والصوف وغير ذلك لبس في السفر جبة صوف وكان يلبس مما يجلب من اليمن وغيرها وغالب ذلك مصنوع من القطن وكانوا يلبسون من قباطي مصر وهى منسوجة من الكتان فسنته في ذلك تقتضى أن يلبس الرجل ويطعم مما يسره الله ببلده من الطعام واللباس وهذا يتنوع بتنوع الأمصار)[١]. فكان من لباسه ﷺ العمامة والثوب والإزار والرداء والجبة والحلة -وهي رداء وإزار معاً- قال ابن القيم: (ولبس القميص وكان أحب الثياب إليه، وكان كمه إلى الرسغ، ولبس الجبة والفروج وهو شبه القباء، والفرجية، ولبس القباء أيضا، ولبس في السفر جبة ضيقة الكمين، ولبس الإزار والرداء)[٢]. وأوصى بلبس البياض فقال: " البَسوا الثِّيابَ البِيضَ فإنَّها أطهَرُ وأطيَبُ وكفِّنوا فيها موتاكم "[٣]. ولبس المخطط من الثياب ففي صحيحي البخاري ومسلم: كان أحب الثياب إلى رسول الله يلبسه الحِبَرَةَ[٤].وعن قتادة قال: قلنا لأنس بن مالك: أي الثياب كان أحب أو أعجب إلى رسول الله ﷺ؟ قال: الحِبَرة[٥]. ونهى عن الأحمر القاني ولكنه ﷺ لبس حلة حمراء فيها أعلام بيض وحمر حيث جاء عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: "كان النبي ﷺ مربوعا، بعيد ما بين المنكبين، له

(١) مجموع الفتاوى ٢٢/٣١١.

(٢) زاد المعاد ١/١٣٢.

(٣) أخرجه أبو داود (٣٨٧٨) واللفظ له، والترمذي (٩٩٤).

(٤) أخرجه البخاري (٥٨١٣)، ومسلم (٢٠٧٩).

(٥) أخرجه مسلم (٢٠٧٩).

شعر يبلغ شحمة أذنه، رأيته في حلة حمراء، لم أر شيئا قط أحسن منه"[1]. (ولبس الخميصة المعلمة والساذجة، ولبس ثوبا أسود، ولبس الفروة المكفوفة بالسندس)[2].

فرسول الله ﷺ لم يميز نفسه بلباس خاص إلا أن ذلك لا يعني خطأ من لبس لباساً خاصاً من القضاة أو الولاة أو المحتسبين ونحوهم فإن لكل زمان ظرفه وحاله ولأن الأصل في اللباس الحل والإباحة. ولا يخفى أن النبي ﷺ تجمل للوفود والمناسبات حيث مر ما رواه عبد الله مولى أسماء، قال: "أخرجت إلي أسماء جبة من طيالسة عليها لبنة شبر من ديباج، وإن فرجيها مكفوفان به، فقالت: هذه جبة رسول الله ﷺ، كان يلبسها للوفود، ويوم الجمعة"[3].

(١) أخرجه البخاري (٣٥٥١)، ومسلم (٢٣٣٧).

(٢) زاد المعاد ١/١٣٤.

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد وصححه الألباني (٣٤٨).

المبحث الخامس: لباس المحتسب عبر العصور:

يبدو أن المحتسب في الصدر الأول لم يكن له لباس يميزه عن غيره من الناس؛ وله أن يرتدي ما شاء من اللباس لأنه من أمور العادات؛ والأصل في العادات الإباحة ما لم يردْ نص شرعي بتحريم نوع منها، أو هيئة، أو لونٍ أو شعار خاص بالكفار، أو ألبسةٍ تخدش الحياء والمروءة، أو غير ذلك.

وقيل إنَّ لباس أصحاب المناصب من العلماء استمر على هذه الحال -كما يلبس الناس- إلى أن جاء القاضي أبو يوسف ت (١٨٢هـ) الذي قال عنه ابن خلكان: "ويقال إنه أول من غيَّر لباس العلماء إلى هذه الهيئة التي هم عليها في هذا الزمان، وكان ملبوس الناس قبل ذلك شيئاً واحداً لا يتميز أحد عنه أحد بلباسه"(١)، وليس هناك هيئة واحدة كاملة تبين لنا كيف أصبح لباس المحتسب، ولم يكن لباس المحتسب واحداً على مرّ العصور، والاختلاف في لباس المحتسب قد يكون سببه اختلاف عادات الناس وأذواقهم، أو يكون سببه اختلاف ظروف المناخ وطبيعته، وقد يكون سببه سياسياً كلبس السواد مثلاً عند العباسيين(٢). ومهما اختلفت هيئة المحتسب في لباسه على مر العصور نستطيع أن نتصور كيف كان لباس المحتسب بمجموعة من الروايات المتفرقة الواردة في هذا الشأن.

منها ما جاء من أن الخليفة المنصور ت (١٣٦هـ) ولّى رجلاً الحسبة فأُدخل عليه في زي الشيعة -أي شيعة المنصور وأنصاره- فألبسه قباء(٣)، وعلق خنجراً في

(١) وفيات الأعيان: ٤٠١/٢.

(٢) قال الذهبي عن أبي مسلم الخراساني: "وهو أول من سنَّ للدولة لبس السواد"، سير أعلام النبلاء: ٥١/٦. وعن سبب لبس السواد، انظر: صبح الأعشى: ٤٢٨/١، ٢٧٠/٣-٢٧١، ٢٨١/٤. وللفائدة انظر: تاريخ الطبري: ١٣٩/٧، الأحكام السلطانية، ص١٣٥، البداية والنهاية: ١٢٠/١٠، تاريخ الخلفاء، ص٣٠٧.

(٣) قبا الشيء قبواً: جمعه بأصابعه، والقَبَاء نوع من الثياب مشتق من ذلك لاجتماع أطرافه، لسان العرب مادة "قبا" ١٦٨/١٥.

وسطه، وسيفاً بمعاليق[١]، وأسبل جُمّته[٢][٣].وهذه الرواية فيها دلالة على اختصاص أصحاب الوظائف الدينية بلباس معين كان قبل أبي يوسف.

ولما ولي محي الدين ابن الجوزي حسبة بغداد سنة (٦٠٤هـ) خُلع عليه خِلْعة[٤] سنية سوداء بطرحة[٥] كحلية[٦]. ولما ولي ابنه تاج الدين حسبة بغداد سنة (٦٤٩هـ) خلع عليه بطرحة ووضع على رأسه غاشية[٧][٨]. وخلع على محتسب دمشق سنة (٧٠٧هـ) بطيلسان ولبس الخلعة ودار بها في البلد[٩]. وحرص بعض المحتسبين على أن يظهر بمظهر يناسب وظيفته؛ فحين تولى جمال الدين القيصري ت(٧٩٩هـ) الحسبة بمصر بعث له أحد القضاة بثوب يلبسه لعجزه عن شراء ثوب يناسب وظيفته[١٠]. وفي سنة (٨٤١هـ) نزل محتسب القاهرة في موكب جليل بعد تعيينه وقد لبس العمامة المدورة والفرجية وهي هيئة أرباب

(١) المعلاق: كل شيء علّق به شيء. مختار الصحاح مادة "علق"، ص٢١٦.

(٢) الجُمَّة، بالضم: مجتمع شعر الرأس وهي أكثر من الوفرة، والجمّة من شعر الرأس: ما سقط على المنكبين، وقيل: الجمة من من الشعر أكثر من اللمّة، وقيل: هي الشعر الكثير. لسان العرب مادة "جمم" ١٠٧/١٢.

(٣) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي: ٣٤١/٧، وعند ابن كثير أنَّه أدخل على الخليفة في بزة حسنة وثياب وشارة وهيئة دنيوية. البداية والنهاية: ١٢٣/١٠.

(٤) الخلعة من الثياب: ما خَلَعْته فطرحته على آخر أو لم تطرحه. وكل ثوب تخلعه عنك: خِلْعة، وخلع عليه خلعة. لسان العرب مادة "خلع" ٧٦/٨.

(٥) الطرحة: الطيلسان. القاموس المحيط ص٢٩٦. وقال صاحب معجم الأغلاط اللغوية: الطرحة: الغطاء الذي يطرح على الرأس والكتفين، ص٤٠٦.

(٦) البداية والنهاية: ٤٩/١٣.

(٧) غاشية: غطاء. لسان العرب: ١٢٦/١٥.

(٨) البداية والنهاية: ١٨١/١٣.

(٩) البداية والنهاية: ٤٣/١٤.

(١٠) الدرر الكامنة: ٣٣٦/٤، والنجوم الزاهرة: ١٥٩/١٢. وذكر المقريزي في خططه عن القاضي تاج الدين إسماعيل بن أحمد المخزومي أنَّه كان ينوب في حسبة القاهرة عن القاضي ضياء الدين المحتسب قال: فدخلت عليه يوماً وأنا لابس جوخة لها وجه صوف مربع، فقال: وكيف ترضى أن تلبس الجوخ، وهل الجوخ إلاّ لأجل البغلة. ثم أقسم عليّ أن أخلعها وما زال بي حتى عرّفته أني اشتريتها من بعض التجار، فاستدعاه في الحال ودفعها إليه وأمر بإحضار ثمنها ثم قال لي: لا تعد إلى لبس الجوخ استهجاناً له. انظر: المواعظ والاعتبار بذكر الحفظ والآثار: ٩٨/٢.

الأقلام[١][٢]. ولبس المحتسب لخلعة الحسبة كان تقليداً متبعاً عند التعيين[٣]، وكانت خلع أصحاب الوظائف من القضاة والمحتسبين والعلماء من الصوف بغير طراز ولهم الطرحة، وأجلّهم أن يكون بلون أبيض وتحته أخضر ثم ما دون ذلك[٤]. وقد لا يلبس المحتسب خلعة الحسبة لظروف استثنائية إما لأن تعيينه كان مفاجئاً أو غير ذلك[٥]. وكانت الحسبة وظيفة لا يتولاها إلا العلماء والفقهاء في الدين الذين كانت العمامة جزءاً أساسياً من ملبسهم، ولذلك كان يطلق عليهم أرباب العمائم أو المتعممون، واستمرت الحسبة لا يتولاها إلا "المتعممون" حتى عهد دولة السلطان المملوكي المؤيد شيخ[٦] ت (٨٢٤هـ) حيث أصبح يتولاها المماليك[٧]. وإذا تولّى أحد الحسبة تزيّا بزي العلماء والفقهاء؛ حيث يبدو أن المحتسب لم يكن له الحق في ارتداء زي العلماء - إن كان من غير العلماء - إلاّ بعد تعيينه، كما ذُكر في النجوم الزاهرة أنَّه إذا عُيّن أحد الأمراء محتسباً خرج عن زي الأجناد إلى زي العلماء[٨]. وذكر القلقشندي أن ملبوس أصحاب الوظائف الدينية في العصر المملوكي يختلف باختلاف مراتبهم، فالقضاة والعلماء – ومنهم المحتسبون- يلبسون العمائم من الشاشات[٩] الكبار للغاية، وأورد تفاصيل عديدة ودقيقة لملبسهم صيفاً وشتاءً، وأثناء الركوب وغيره[١٠].

(١) الحسبة هي: أمرٌ بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهيٌ عن المنكر إذا ظهر فعله. وهي وظيفة دينية من وظائف أرباب الأقلام.

(٢) النجوم الزاهرة: ٨٣/١٥.

(٣) انظر –على سبيل المثال– البداية والنهاية: ١١/١٤، ومفاكهة الخلان: ٣٩/١.

(٤) الخطط المقريزية: ٢٢٨/٢.

(٥) النجوم الزاهرة: ٤٠١/١٥.

(٦) هو شيخ بن عبد الله المحمودي الظاهري من ملوك الجراكسة بمصر والشام، كان شجاعاً وافر العقل، بصيراً بمكايد الحرب، ت٨٢٤هـ. (الأعلام ١٨٢/٣).

(٧) صبح الأعشى: ٢١٠/١١. وانظر: مفاكهة الخلان: ٣١/١.

(٨) ٧٥٢/٦.

(٩) الشاشات مفردها شاش: وهو القطعة الطويلة من الشاش أو الحرير التي تلف حول العمامة، وهو نوع من أغطية الرأس اخترعته نساء مصر حوالي سنة (٧٨٠هـ) وهو يبدأ من جبهة المرأة وينتهي عند ظهرها، وبعض الأغطية كان طولها حوالي ذراع، وارتفاعها أقل من ربع ذراع وتزين هذه الأغطية بالذهب واللؤلؤ، وكان ينفق لهذا الغرض مبالغ طائلة. انظر: الحسبة في مصر، لسهام أبو زيد، ص١١٦، وقد نقلت عن: Dozzy. Supp, Dict Ar. II P. 802.

(١٠) صبح الأعشى: ٤٢/٤.

المبحث السادس: لباس المحتسب حديثاً:

وفي وقتنا الحاضر ليس لرجل الحسبة لباساً يميّزه عن غيره سواء كان عمله ميدانياً أم إدارياً.

وفي ظني أن هذا أمرٌ تختلف فيه الآراء، فبعض الناس يرى أن يتخذ المحتسب لباساً يميزه، وهو لباس أهل العلم، لكي يُعرفوا بذلك فيحصل لهم المهابة في قلوب المخالفين. وقد لا يستحسن البعض ذلك لأسباب مختلفة، ففي البحوث التي أشرفت عليها لطلاب السنة النهائية في المرحلة الجامعية بكلية الدعوة التابعة لجامعة الإمام بالمدينة المنورة[1]، طرح الطلاب سؤالاً يهدف إلى معرفة رأي من وُزّعت عليه الاستبانة هل يَقترح بأن يرتدي موظفو الهيئة لباساً خاصاً بهم يميزهم عن غيرهم؟ أم لا؟ مع ذكر السبب لأي من الجانبين. فقد جاءت آراء الغالبية بعدم الأخذ بهذا الاقتراح، وبلغت نسبة أصحاب هذا الرأي ٧٦%، وفيما يلي أهم الأسباب لأصحاب هذا الرأي:

١- حتى لا يعرفهم المخالف فيهرب، فلا يتمكنون من القبض عليه وهو على مخالفته.

٢- لأن لباسهم الحالي مناسب وفيه سمت ووقار الداعية فلا داعي لغيره.

٣- حتى يتمكنوا من أداء عملهم من غير أن يشعر الناس بهم.

٤- ليبقى المخالف خائفاً من كل شخص ظناً منه أنَّه قد يكون رجل هيئة.

وجاءت آراء الأقلية تؤيد ارتداء رجال الهيئة لباساً يميزهم عن غيرهم، وبلغت نسبتهم ٢٤%، وعن السبب في تأييدهم لذلك، اتفق المقترحون على سبب واحد -وإن اختلفت تعبيراتهم عنه- وهو: لكي يُعرفوا بهذا اللباس، فيهابهم المخالف ولا يقدم على أية مخالفة مهابة وخوفاً.

والذي أراه أن الأمر يختلف باختلاف الحال، بحيث لو تعلق عمل المحتسب بمهمةٍ تقتضي السريَّة فليس من المناسب الظهور بلباس مميز، ولو تعلق عمله بالمهام الاعتيادية اليومية فالأفضل ظهوره باللباس المميز، والله تعالى أعلم.

---

(١) وهي بحوث خاصة للتخرج تحت إشرافي ومحفوظة في أرشيف الكلية.

ولا شكَّ أن اللباس له أثر على المدعوين، قال ابن رشد: (لا بأس بلبس شعار العلماء من أهل الدين ليُعرفوا بذلك فيُسألوا، فإني كنت محرماً فأنكرت على جماعة من المُحْرِمين لا يعرفوني ما أخلّوا به من آداب الطواف فلم يعبأوا، فلما لبست ثياب الفقهاء، وأنكرت ذلك عليهم سمعوا وأطاعوا. فإذا لبس شعار الفقهاء، لمثل هذا الغرض كان فيه أجر؛ لأنه سبب إلى امتثال أمر الله تعالى والانتهاء عما نهى عنه عزَّ وجلَّ)[١].

(١) المعيار المعرب: ٣٢٢/١٢.

الخاتمة:

الحمدلله أولاً وآخراً والحمدلله الذي بنعمته تتم الصالحات وأسأل الله أن يكتب لهذا البحث القبول عنده والاستحسان والنفع لدى خلقه، اللهم آمين ، أما بعد

فقد ناقش هذا البحث ما يتعلق باللباس وأهميته وأن الله ميز به بني آدم عن الحيوانات وأنه سبب للزينة والجمال ولكنه في الوقت ذاته ليس معياراً يقاس به فضل الإنسان. وأن المسلم مندوب له أن يلبس النظيف من الثياب ولا حرج عليه أن يلبس الفاخر ما دام في دائرة المباح. كما أن اللباس له تأثير في الغالب على لابسه في أخلاقه وسلوكه. وجاء بيان أن النبي ﷺ لم يكن له لباس خاص يميزه عن غيره بل كان يلبس لباس قومه ويشابه أصحابه في ثيابهم وملبوسهم؛ ولا يعني ذلك تخطئة من اتخذ لباساً خاصاً من أصحاب الولايات والوظائف الدينية والدنيوية فلكل زمان ظروفه وأحواله حيث الأصل في اللباس الإباحة.

ثم ختم البحث بنقاش نموذج المحتسب على مر العصور واختلاف الأزمان وكيف كان لباسه منذ الصدر الأول.

المراجع:

١- الأثمار الجنية في أسماء الحنفية، علي القاري، ت: عبدالمحسن عبدالله، ديوان الوقف السني، العرق، ١٤٣٠هـ.

٢- الأحكام السلطانية، لأبي الحسن علي بن حبيب الماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣- الأحكام السلطانية، لأبي يعلى الفراء، تعليق محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ.

٤- الآداب الشرعية والمنح المرعية، محمد بن مفلح المقدسي الصالحي، عالم الكتب.

٥- الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط. الحادية عشرة، ١٩٩٥م.

٦- البداية والنهاية، ابن كثير الدمشقي، مكتبة المعارف بيروت، ط. الرابعة، ١٤٠١هـ.

٧- البيان والتبيين، عمرو بن بحر الكناني الشهير بالجاحظ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.

٨- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبي، ت: عمر التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٣م.

٩- تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري، مؤسسة الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ.

١٠- تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي، ت: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط. الأولى، ١٩٥٢م - ١٣٧١هـ.

١١- تاريخ بغداد، محمد بن علي الخطيب البغدادي، ت: مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٤م.
١٢- ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض، مطبعة فضالة، المحمدية/ المغرب.
١٣- تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير الدمشقي، دار القلم، بيروت، ط. الأولى.
١٤- تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين، ابن النحاس، دار المعارف، الرياض.
١٥- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٦٦م.
١٦- الحسبة في مصر الإسلامية، سهام مصطفى أبو زيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م.
١٧- حلية الأولياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتب العربي، ط. الخامسة، ١٤٠٧هـ.
١٨- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر العسقلاني، نسخة مصورة عن طبعة دائرة المعارف الهندية.
١٩- الدرر الكامنة، ط. الخامسة، ١٤١٣هـ.
٢٠- زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، ت: عبدالقادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت، ١٤٢٥هـ.
٢١- سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، لسنة ١٤٠٥هـ.
٢٢- سلسلة الأحاديث الضعيفة، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٢٣- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث، دار الحديث، حمص، ط. الأولى، ١٣٨٨هـ.

٢٤- سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. الثالثة، ١٩٨٥م.

٢٥- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى، ١٤٠٧هـ.

٢٦- صحيح الجامع الصغير وزيادته، ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت.

٢٧- صحيح مسلم، بشرح النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٨- القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. الأولى.

٢٩- لسان العرب، ابن منظور، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ.

٣٠- مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ترتيب: عبدالرحمن بن قاسم وابنه محمد، مجمع الملك فهد، ٢٠٠٤م.

٣١- مختار الصحاح، زين الدين الرازي، ت: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٩م.

٣٢- مختصر تاريخ مدينة دمشق، محمد بن مكرم ابن منظور، ت: أحمد راتب حموش ومحمد ناجي العمر، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٩م.

٣٣- المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، أحمد بن يحيى الونشريسي، دار الغرب الإسلامي، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٣٤- مفاكهة الخلان في حوادث الزمان [تاريخ مصر والشام]، شمس الدين محمد بن طولون، تحقيق محمد مصطفى، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٨١هـ- ١٩٦٢م.
٣٥- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى، ١٤١٢هـ.
٣٦- المواعظ والاعتبار في الخطط والآثار، أحمد بن علي المقريزي، دار صادر بيروت.
٣٧- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي، الأتابكي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.
٣٨- وفيات الأعيان وأبناء أنباء الزمان، أحمد بن أبي بكر خلكان، ت: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت.

الفهرس

مقدمة ٣٦٣
المبحث الأول: أهمية اللباس:..... ٣٦٧
المبحث الثاني: حكم لبس الفاخر والأنيق:..... ٣٦٩
المبحث الثالث: تأثير اللباس على الإنسان:..... ٣٧٣
المبحث الرابع: هل كان للرسول صلى الله عليه وسلم لباساً مميزاً.... ٣٧٦
المبحث الخامس: لباس المحتسب عبر العصور:..... ٣٧٨
المبحث السادس: لباس المحتسب حديثاً:..... ٣٨١
الخاتمة:..... ٣٨٣
المراجع: ٣٨٤
الفهرس..... ٣٨٨